مراجعة تحليلية لكتاب *الأخلاق في الأديان السماوية* :

مقارنة الأخلاق بين التوراة والقرآن

إعداد الطالب:

يحيى بن محسن الجديعي

الرقم الجامعي(G2327395)

إشراف:

الدكتور/ فطمير

Course: COMPARATIVE ETHICS

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية – ماليزيا

الفصل الأول للعام الدراسي 2025– 2026

ملخص

يتناول هذا البحث مراجعةً تحليلية نقدية للفصل الأول من كتاب »**الأخلاق في الأديان السماوية** «للسيد أبو ضيف المدني، والذي يُركز على الأخلاق في التوراة. يُبرز البحث السياق التاريخي لنزول التوراة على موسى عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر، واستعراض أهم التعاليم الأخلاقية فيها مثل **الوصايا العشر**، مع تتبّع مظاهر الانحراف السلوكي لبني إسرائيل كما تصوّرها نصوص التوراة. تعتمد الدراسة منهج التحليل النصّي المقارن للنصوص الدينية، مع تحقيق علمي لمصادرها، ومقارنة تلك الأخلاق التوراتية بأخلاق القرآن الكريم في عدة محاور أساسية. وقد خلصت المراجعة إلى وجود تمايز واضح بين المنظومتين؛ إذ تتسم أخلاق التوراة بطابع قومي خاص ببني إسرائيل، في حين قدّم القرآن منظومة أخلاقية عالمية تتسم بالتوحيد والتنزيه الإلهي والعدالة الشاملة[1] وتؤكد النتائج أن التوراة – رغم اشتمالها على قيم سامية – تصوّر تاريخ بني إسرائيل بانحرافات أخلاقية خطيرة شملت حتى أنبياءهم، بينما ينزّه القرآن مقام الأنبياء ويقدّم مبادئ أخلاقية أكثر شمولًا وإنسانية. وتُقيّم الدراسة منهج المؤلف فتبيّن نقاط قوته في الجمع والتحليل، ونقاط الضعف في المقارنة والموضوعية، بما يُسهم في فهم علمي أعمق لأخلاق التوراة في ضوء مقارنتها بالأخلاق القرآنية.

مقدمة

تحظى دراسة **الأخلاق المقارنة** بين الأديان السماوية بأهمية بالغة في فهم جوهر الرسالات وكيفية تأثير التعاليم الدينية على سلوك الأفراد والمجتمعات. فالأخلاق تشكِّل جانبًا محوريًا في كل دين، وتمثل منظومة القيم والمثل العليا التي يرسخها ذلك الدين في نفوس معتنقيه. ومن خلال المقارنة المنهجية بين المنظومات الأخلاقية للأديان المختلفة، يُمكن للباحث اكتشاف نقاط الاتفاق والافتراق بينها، مما يُسهم في تعزيز الحوار بين الأديان ويفضي إلى فهم أعمق للمشتركات الإنسانية في ميدان القيم، فضلًا عن تبيُّن الخصوصيات المميزة لكل منظومة إيمانية.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية دراسة **الأخلاق التوراتية** بوصفها جزءًا أساسيًا من تراث الأديان الإبراهيمية. فالتوراة (العهد القديم) تمثل المصدر الأخلاقي والتشريعي الأول في اليهودية، كما أنها تُشكّل جذور المفاهيم الأخلاقية التي انتقلت إلى التراث المسيحي. إن فهم الأخلاق في التوراة يمنحنا صورة

[1] سورة الحجرات آية 13

أوضح عن خلفية القيم الدينية التي سبقت الإسلام، ويساعد على تقييم مدى استمرار أو تصحيح تلك القيم في الرسالة القرآنية اللاحقة. وبالتالي فإن تحليل الأخلاق التوراتية ليس مجرد استعراضٍ لتعاليم ماضية، بل هو مدخل لفهم تطوّر مفهوم الأخلاق في السياق الديني التاريخي، وعقد مقارنة واعية بينها وبين الأخلاق في الإسلام.

بناءً على ما سبق، تهدف هذه المراجعة الأكاديمية إلى تقديم قراءة نقدية منهجية للفصل الأول من كتاب «*الأخلاق في الأديان السماوية*» الذي يتناول موضوع **الأخلاق في التوراة**. تركّز المراجعة على عرض محتوى هذا الفصل بشكل موضوعي، ثم إجراء مقارنة علمية شاملة بين المبادئ والقيم الأخلاقية في التوراة ونظيرتها في القرآن الكريم عبر عدة محاور محددة. كما تسعى المراجعة إلى تقييم منهج المؤلف السيد أبو ضيف المدني في تناول الموضوع، من حيث مدى دقة نقله للنصوص وصحة استدلالاته وإنصافه في المقارنة، وذلك بهدف الوصول إلى فهم أعمق لنقاط الالتقاء والاختلاف بين الأخلاق التوراتية والأخلاق القرآنية.

منهجية البحث

أما **منهجية البحث** المتّبعة في هذه المراجعة فتقوم على تحليل النصوص الدينية الأصلية الواردة في الفصل محل الدراسة، مع توثيق كل اقتباس توراتي أو قرآني بعزوه إلى مصدره الأصلي وفق منهجية التحقيق العلمي. ويشمل المنهج أيضًا المقارنة المباشرة بين ما ورد في التوراة وما يقابله في القرآن من مفاهيم وقيم أخلاقية، بالاستعانة بمراجع تفسيرية وتراثية عند الضرورة. وتم توظيف النقد التحليلي لنهج المؤلف عبر تقييم استدلالاته ومقارباته على ضوء كل من المصادر الأصلية والمعارف الأكاديمية الحديثة في مجال مقارنة الأديان.

نطاق هذه الدراسة

وتجدر الإشارة إلى أن **نطاق هذه الدراسة** يقتصر على الأخلاق في التوراة مقابل الأخلاق في القرآن كما تناولها المؤلف في الفصل الأول من كتابه، دون التوسّع إلى الأخلاق في الإنجيل (العهد الجديد) أو غيره من الفصول اللاحقة في الكتاب. وبذلك تبقى المقارنة مركزّة على ما طرحه المؤلف بخصوص التوراة والإسلام حصراً.

المؤلف والكتاب

السيد أبو ضيف المدني

هو باحث مصري في مقارنة الأديان وتاريخ الفكر الديني، عُرف باهتمامه بالدراسات اليهودية والتراث الإسلامي. له عدة مؤلفات تتناول جوانب من الفكر والتاريخ اليهودي، من أبرزها كتاب «*الأدب اليهودي في المرحلة التلمودية: المشنا تاريخها وأقسامها وأهم عقائدها الدينية*» وكتاب «*إسرائيل: حياتهم تاريخهم*» مما يدل على تخصصه العميق في دراسة الموروث اليهودي وتفاعله مع الفكر الإسلامي[2] ويتضح من أسلوب كتاباته أنه يعتمد منهج التحليل المقارن للنصوص، جامعًا بين الاستشهاد بالنصوص المقدسة والتحليل التاريخي والاجتماعي لها.

الكتاب

أما الكتاب موضوع المراجعة، وهو بعنوان «*الأخلاق في الأديان السماوية*»، فيُمثّل دراسة أكاديمية مقارنة تتناول الأخلاق في الديانات الإبراهيمية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام). صدر الكتاب عن دار الشروق في بيروت (الطبعة الأولى سنة 1988م)[3] ، ويقع في جزء واحد موجز (حوالي 50 صفحة)

يفتتح المؤلف كتابه بمناقشة بعض المفاهيم النظرية حول الأخلاق بشكل عام، ثم ينتقل إلى دراسة مفصّلة للأخلاق في التوراة مدعَّمة بأمثلة نصيّة متعددة، ويثنّي بالأخلاق في الإنجيل، ثم يعرّج على الأخلاق في الإسلام وما أرساه من دعائم وقيم أخلاقية هامة، موضحًا الفروق بينه وبين الأخلاق في الديانات السابقة[4] ويخصّص المؤلف فصلًا مستقلًا للحديث عن الأخلاق في القرآن الكريم، عارضًا فيه مغريات الحياة الدنيا وكثيرًا من نماذج الرذائل في مقابل الفضائل. منهجية الكتاب قائمة على العرض الموضوعي المقارن؛ إذ يورد المؤلف النصوص الدينية من التوراة والإنجيل والقرآن، ثم يقوم بتحليلها

---

[2] السيد أبو ضيف المدني .*الأخلاق في الأديان السماوية* .PDF electronic book .مكتبة عين الجامعة (قسم دوائر العقيدة)

[3] السيد أبو ضيف المدني .*الأخلاق في الأديان السماوية* .بيروت: دار الشروق, 1408هـ/1998م. 50 ص .**كتاب بديا**

[4] و ضيف المدني .*الأخلاق في الأديان السماوية* . PDF electronic book, 50 pages, created 24 February 2010. Noor-Book

ومقارنتها في إطار إبراز مواطن الاتفاق والاختلاف في المبادئ الأخلاقية بينها. وتكمن القيمة العلمية للكتاب في أنه يقدّم للقارئ رؤية شمولية موجزة لمقارنة أخلاقية بين الأديان السماوية، مما يجعله مفيدًا لدارسي الدراسات الدينية وعلم الأخلاق المهتمين بالتعرّف على أسس الفضيلة في كل من التراثين التوراتي والقرآني ضمن سياق علمي مُيسر. ومع ذلك، فإيجاز الكتاب (إذ لم يتجاوز 50 صفحة) قد يجعله أشبه بمُقدّمة عامة للموضوع أكثر من كونه دراسة متعمقة، مما يفتح المجال لمناقشة منهج المؤلف وانتقائيته كما سيأتي.

عرض موضوعي لمحتوى الفصل الأول: الأخلاق في التوراة

يعرض الفصل الأول من الكتاب صورةً تاريخية ونصية للأخلاق كما ترد في التوراة، ويمكن تلخيص محتواه ضمن محاور رئيسية على النحو التالي:

1–السياق التاريخي لنزول التوراة :نزلت التوراة على النبي موسى عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر واستقرارهم عند جبل سيناء، وذلك في سياق تاريخي شهد نجاة بني إسرائيل من استعباد فرعون وانتصار الله لهم بإغراق عدوّهم أثناء مطاردتهم[5] كانت تلك المرحلة حافلةً بالآيات والمعجزات العظيمة، أبرزها معجزة شق البحر الأحمر وإنقاذ الله لقوم موسى من العبودية. وعلى الرغم من هذه النعم الجليلة، تُظهر النصوص التوراتية أن بني إسرائيل اتصفوا بالجحود والتمرّد؛ فقد بدأوا بالتذمّر والشكوى ضد موسى وقادة بني إسرائيل منذ وقت مبكر في البرية، مفتقرين إلى الصبر والثقة بالله رغم ما عاينوه من خلاص ومعجزات. فعلى سبيل المثال جاء في سفر الخروج أن الشعب قال لموسى" :**لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا ... بالعطش؟**[6]"

2–السلوكيات الأخلاقية لبني إسرائيل في التوراة :تسجّل أسفار التوراة عددًا من السلوكيات السلبية لبني إسرائيل خلال تلك الحقبة الصحراوية. فقد أكثروا من الاعتراض والتشكّي ضدّ النبي موسى مرارًا، وانحرفوا سريعًا إلى عبادة الأصنام رغم ما شهدوه من آيات؛ إذ صنعوا لأنفسهم **عجلًا من ذهب** في غياب موسى وعبدوه وقدموا له الذبائح هاتفين" :*هذا هو إلهك يا إسرائيل الذي أخرجك من ديار مصر*[7]، مخالفين بذلك صريح وصية التوحيد. بل إنهم طلبوا أمورًا مستحيلة تنمّ عن جرأة على الله، كما جاء أنهم طالبوا برؤية الله تعالى **جهرةً** على سبيل التحدّي والشك 【سورة البقرة – الآية 55】 . أيضًا

---

[5] *سفر الخروج*) 19:1-25الأصحاح التاسع عشر (Arabic Old Testament: The Holy Bible). Accessed **تاريخ الوصول**https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=2&chapter=19. **St-Takla.org**.

[6] سفر الخروج – الإصحاح 17 – العدد 3

[7] *سفر الخروج* **[** 32. In **Bible Gateway**, Ketab El Hayat (NAV Arabic Bible). Accessed **تاريخ الوصول**https://www.biblegateway.com/passage/?search=الخروج%2032&version=NAV**]**. biblegateway.com (Bible Gateway)

انغمس فريق منهم في الشهوات المحرمة والفواحش، مثل قصّة فسق جماعة من بني إسرائيل مع بنات موآب وانجرافهم لعبادة أوثانهن" :*ابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعَونَ الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجد لآلهتهن. وتعلّق إسرائيل ببعل فغور* .[8] وقد وصفت النصوص قلوب الكثيرين منهم بالقسوة والتحجّر نتيجة عصيانهم المتكرر، وبرزت بينهم أمراض أخلاقية كالحسد والغدر ونقض العهود؛ وهي صفات نددت بها التوراة نفسها وأنبياء بني إسرائيل مرارًا، واعتبرتها من أبرز أسباب غضب الله عليهم ولعنته لهم 【سورة المائدة – الآية 13】 .

3–المبادئ الأخلاقية في التوراة (الوصايا العشر) :على الرغم من تلك السلوكيات المنحرفة لبني إسرائيل، احتوت التوراة على مبادئ أخلاقية رفيعة تمثّل حجر الزاوية للتشريع الأخلاقي الموسوي. أبرز تلك المبادئ ما يُعرف بـ **الوصايا العشر** التي تلقّاها موسى من الرب على جبل سيناء. وتتضمن الوصايا العشر مجموعة من الأحكام الأخلاقية الأساسية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

- توحيد الله والنهي عن الإشراك به (لا يكن لكَ إلهة أخرى أمامي).
- تحريم عبادة الأصنام أو اتخاذ تماثيل للعبادة.
- برّ الوالدين وإكرام الأب والأم.
- تحريم القتل وإراقة الدماء ظلمًا.
- تحريم الزنا وانتهاك حرمة العرض.
- تحريم السرقة والاعتداء على ممتلكات الآخرين.
- تحريم شهادة الزور والكذب في المعاملات.
- النهي عن الطمع وتمني ما للغير (لا تشتهِ بيت قريبك ولا امرأته ولا شيئًا مما له).

[8] آيات (عد 25: 1–6) من سفر العدد من الكتاب المقدس

وردت هذه الوصايا مفصّلة في **سفر الخروج – الأصحاح 20** ضمن التوراة، وكانت بمثابة دستور أخلاقي لبني إسرائيل[9] فهي تقرر قيمًا عليا مثل التوحيد والإخلاص والعدل والوفاء، ولو أن بني إسرائيل التزموا بها التزامًا تامًا لارتقى مجتمعهم أخلاقيًا إلى مستوى رفيع – وفق منظور التوراة نفسها – إلا أن الواقع التاريخي جاء مخالفًا لتلك التطلعات السامية كما يبين المؤلف.

4–الانحراف الأخلاقي التاريخي لبني إسرائيل :يروي العهد القديم كيف أخفق بنو إسرائيل مرارًا في الالتزام بتلك المبادئ السامية، بل انتهكوا الوصايا الإلهية بشكل صارخ في تاريخهم. فبعد مدة وجيزة من تلقيهم الشريعة نقضوا أبرز وصية وهي تحريم الوثنية بصنعهم العجل الذهبية وعبادته، مخالِفين بذلك مبدأ التوحيد الأساسي. كما ارتكبوا جرائم القتل والظلم فيما بينهم ولدى تعاملهم مع الآخرين، حتى إن تاريخهم تخلله قتلهم لبعض أنبياء الله الذين أُرسِلوا لهدايتهم وإرشادهم؛ يقول العهد القديم في أحد المواضع" :*عصوا وتمردوا عليك، وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم، وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك*[10] – وهي شهادة واضحة على مدى انحرافهم عن منهج ربهم. وانتشرت بينهم **العصبية القومية الحادة** التي جعلتهم يرون أنفسهم شعبًا مختارًا ومفضّلًا على سائر الأمم[11]، مما رسّخ لديهم نزعة الاستعلاء على الآخرين. وقد أدّى هذا التصور القومي الضيق إلى استباحتهم دماء الشعوب الأخرى في حروبهم؛ فالتوراة تنقل أوامر إلهية لبني إسرائيل بإبادة شعوب كاملة من سكان كنعان وعدم إبقاء أي ناجٍ منهم" :*وأما مُدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبقِ منها نسمةً ما*[12] .بل جاء في سفر صموئيل الأمر بقتل رجال ونساء وأطفال الرضّع وحتى البهائم في حرب بني إسرائيل ضد عمليق" :*فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما له ولا تعفُ عنهم، بل اقتل رجلًا وامرأة، طفلًا*

---

[9] *سفر الخروج*)الأصحاح 20**]** .(**تاريخ الوصول**. In **Bible** (**Arabic Bible**). Enjeel.com. Accessed الكتاب المقدسhttps://www.enjeel.com/bible.php?bk=2&ch=20.

[10] *نحميا* **[** 9:26–38. In **Arabic Vandyke Translation**. Biblia.com. Accessed **تاريخ الوصول]**. https://biblia.com/bible/ar-vandyke/Nehemiah/9/26-38. Biblia

[11] *سفر العدد* .7:6–8**الكتاب المقدس بالعربية**. St-Takla.org. https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=5&chapter=7&vmin=6&vmax=8.

[12] *التثنية* .20:16**الكتاب المقدس (ترجمة فاندايك العربية)**.(SVD) *Blue Letter Bible* .

ورضيعًا، بقرًا وغنمًا وجملًا وحمارًا[13] ومثل هذه النصوص تظهر مستوى القسوة التي وصلت إليها أخلاق التعامل مع الآخر لدى بني إسرائيل تحت شعار التفوق القومي والديني. وإلى جانب ذلك، يُشير المؤلف إلى ابتلاء بني إسرائيل عبر تاريخهم **بحب الدنيا والتعلق الشديد بالمادة**؛ فكثيرًا ما قدّموا أهواءهم الدنيوية على طاعة ربهم، وأصبحوا – كما وصفهم القرآن الكريم" *–أحرص الناس على حياة*" ، يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة على حساب المبادئ الأخلاقية[14] فحبهم الفائض للدنيا ومتاعها كان أحد عوامل تقاعسهم عن الالتزام الكامل بشرع الله، وفق ما يستفاد من نقد التوراة والقرآن لهم.

5–تصوير التوراة للأنبياء ومكانة القدوة الأخلاقية :من أخطر ما يورده الفصل – نقلًا عن نصوص التوراة – تصويرها لبعض أنبياء الله الذين يفترض أن يكونوا قدوةً ومثالًا للأخلاق، بصورة بشر ارتكبوا فواحش وكبائر. ومن أبرز الأمثلة على ذلك قصة نبي الله **لوط عليه السلام** كما في سفر التكوين؛ حيث تنسب التوراة إليه وقوعه في كبيرتين: شرب الخمر حتى الثمالة، ثم ارتكاب جريمة الزنا بالمحارم مع ابنتيه – والعياذ بالله – دون علمه بسبب سُكره. فقد ورد نصًّا" :*وصعد لوط من صوغر... فأقامت ابنتاه معه... وقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا... فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة... فحملت ابنتا لوط من أبيهما*[15]، وهكذا وُلِدَ للوط ابنان من ذريّة أثمين (موآب وبن عمّي) بحسب الرواية التوراتية[16] ولا شك أن هذه القصة الصادمة تهدم الصورة المقدسة للأنبياء كنماذج للفضيلة. وبالمثل، ينقل سفر **صموئيل الثاني** رواية تتهم النبي **داود عليه السلام** بالوقوع في الزنا مع امرأة جاره وقائد جيشه **أوريا الحثّي** (زوجته تُدعى بشبع)، ثم تدبير قتله غدرًا للتستر على الجريمة. إذ تقول الرواية إن داود رأى بشبع فافتُتن بها ثم "*أرسل داود وأخذها، فأتت إليه فضاجعها...*

---

[13] *صموئيل الأول* 15. In **BibleHub** (**Arabic Interlinear**). https://biblehub.com/arb/1_samuel/15.htm.

[14]]سورة البقرة (2) : آية 96[وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ(96)

[15] سفر التكوين، 19: 30 – 38.

[16] *إظهار الحق* .**الفصل الثاني: في دفع المطاعن** .في **Wikisource – المكتبة الحرة** (**Arabic Wikisource**). https://ar.wikisource.org/wiki/إظهار_الحق/الفصل_الثاني:_في_دفع_المطاعن.

وحملت *المرأة*[17]، وعندما علم بحملها استدعى زوجها أوريا من ساحة الحرب وحاول تغطية الأمر بإرساله إلى بيته، فلما لم ينجح دبّر خطة لقتله في المعركة عبر أمر يوآب قائده بأن يجعل أوريا في مقدمة القتال الشديد ثم يتراجع عنه الجميع ليهلك؛ وقد نُفّذت الخطة وقتل أوريا الحثّي [18].وبعد موت أوريا تزوّج داود بشبع وولدت له ابنًا، ثم جاء في التوراة تعليقًا: *"وساء ما صنعه داود في عيني الرب"*، مما يدل على فداحة فعلته حتى وفق المنظور التوراتي. إن مثل هذه الروايات تُسقط الهيبة الأخلاقية عن مقام النبوّة وتجعل العامة يتساءلون: كيف يُنتظر من الناس التزام الفضيلة واتّباع أوامر الدين إذا كان الأنبياء أنفسهم – وهم صفوة الخلق – يقترفون الزنا والخيانة والقتل؟ وقد نبّه المؤلف إلى خطورة هذا التصوير الذي **يشيع الفاحشة** بين الناس بفتح باب التبرير لكل منكر؛ إذ قد يقول أي رجل أو امرأة: *"ما دام الأنبياء قد فعلوا هذه الكبائر، فالأولى أن يكون ذلك مباحًا لنا نحن البشر العاديين"*[19]! وهكذا يؤدّي تصوير الأنبياء في التوراة بتلك الصورة المشوّهة إلى سقوط النموذج الأخلاقي الذي يُفترض اقتداء الناس به.

6–ملامح مقارنة ضمنية أشار إليها المؤلف :على الرغم من أن هذا الفصل مخصص لوصف أخلاق التوراة موضوعيًا، فإن المؤلف يُضمّن ضمن عرضه بعض الإشارات السريعة للمقارنة مع الإسلام، تمهيدًا للفصول اللاحقة. فقد أشار إلى أن **القرآن الكريم ينزّه الأنبياء تنزيهًا تامًا** عن مثل تلك النقائص التي نسبتها إليهم التوراة؛ فلا يَرِدُ في القرآن أي اتهام لنبي بزنا أو خيانة أو عبادة صنم، بل على العكس يظهر الأنبياء في القرآن في صورة القدوة المعصومة – في الجملة – عن الكبائر. فالنبي لوط في القرآن *"نجّاه الله من القرية التي كانت تعمل الخبائث، إنه كان قوم سوء فاسقين"* وأدخله الله في رحمته[20]، وداود عليه السلام مدحه الله بأنه عبدٌ صالح وأناب إلى ربه فغفر له، ورفعه مكانةً عالية. وبشكل عام يؤكد القرآن عصمة الأنبياء وبراءتهم من الكبائر والدنايا التي تنسبها إليهم روايات اليهود والنصارى. كذلك نبّه المؤلف إلى أن **القرآن كثيرًا ما ينتقد انحراف بني إسرائيل** عن منهج الله، مقرّرًا ومصحّحًا ما جاء في التوراة من

---

[17] سفر صموئيل الثاني، 11: 1 – 12.

[18] سفر صموئيل الثاني، 11: 26 – 27.

[19] د. سلام ضاهر .*تهافت عقيدة اليهود في الأنبياء وإشكالية العصمة في التوراة والعهد القديم (الزنا أنموذجًا)* .**مجلة أوراق ثقافية** .https://www.awraqthaqafya.com/837/مجلة أوراق ثقافية.

[20] ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴾ **[الأنبياء: 74]**

لومهم على قسوة قلوبهم وبغيهم وقتلهم الأنبياء بلا حق[21]؛ فالقرآن يصف بني إسرائيل بأنهم لُعنوا على لسان أنبيائهم بسبب عصيانهم المستمر واعتدائهم في الأخلاق والحقوق. وأخيرًا، يشير المؤلف إلى الفرق في **شمولية الأخلاق** بين الديانتين: فالأخلاق التوراتية اتسمت بطابع قومي انعزالي – إذ خُصَّ بها بني إسرائيل واعتبروا أنفسهم شعب الله الوحيد وفضّلوا ذواتهم على غيرهم – بينما جاءت **أخلاق الإسلام عالمية إنسانية** لا تمييز فيها بين قومية وأخرى. فالرسالة القرآنية خاطبت *"يا أيها الناس"* ...جميع الناس دون تفريق[22]، وأكّد النبي محمد ﷺ في خطابه أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، فالمعيار الأخلاقي في الإسلام هو **التقوى والصلاح** لا العرق والنسب وبذلك قدّم الإسلام منظومة أخلاقية مفتوحة للبشر كافة، في مقابل الانغلاق القومي الذي ميّز أخلاق بني إسرائيل في سياقهم التاريخي. هذه المقارنات الضمنية مهدت لفصول الكتاب اللاحقة، لكنها تُطرح هنا بإيجاز دون توسع، تاركةً المجال لمزيد من التفصيل في المقارنة بين أخلاق التوراة والقرآن كما سيأتي في القسم التالي من هذه المراجعة.

---

[21] **Nehemiah 9:26–38**

[22] سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

المقارنة بين الأخلاق في التوراة والأخلاق في القرآن

بعد عرض المحتوى التوراتي، يُباشر الباحث بإجراء مقارنة علمية شاملة بين منظومة الأخلاق كما قدمتها التوراة والمنظومة الأخلاقية في القرآن الكريم. تنقسم المقارنة إلى محاور رئيسية متعددة، نناقشها فيما يلي بالتفصيل:

أ. مفهوم الإله ومصدر الأخلاق

يختلف التصور العقدي للإله — وبالتالي منبع الإلزام الأخلاقي — بين التوراة والقرآن بصورة جوهرية .**في التوراة** يظهر الله جل وعلا بصفات تحمل طابعًا **أنثروبومورفيًا (تجسيميًا)** إلى حد ما؛ فهو إله قومي مرتبط ببني إسرائيل بشكل خاص، يوصف أحيانًا بصفات البشر كالندم والغضب والغيرة الشديدة. على سبيل المثال، جاء في سفر التكوين" :*ونَدِمَ الربُّ أنه عمل الإنسان على الأرض، وتأسّف في قلبه* [23]" حين رأى فساد البشر، وجاء في موضع آخر قوله" :*ندمتُ على جعل شاول ملكًا* " على بني إسرائيل[24] كما تصوّر التوراة الربَّ محتجبًا في غمامة على جبل سيناء يصدر أصوات الرعد والبوق بحيث خاف بنو إسرائيل وقالوا لموسى" :*تكلّم أنت معنا... ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت*[25] بل تصفه التوراة بأنه **استراح** بعد خلق العالم في ستة أيام [26]وأنه يُقسم ويغيّر رأيه وينزل ليُعاين أحوال البشر بنفسه [27]هذه الصفات كلّها تجعل صورة الإله في التوراة أقرب — في بعض الأجزاء — إلى صورة إله خاص ببني إسرائيل، شديد التعامل مع غيرهم، تصحبه انفعالات بشرية كتغيّر القرارات والراحة بعد التعب، ويقوم أخلاق بني إسرائيل عبر جزاءات مادية مباشرة في الدنيا (انتصارات وهزائم، خصب وجدب... إلخ). ومن هذا المنطلق، كان **مصدر الأخلاق في التوراة** يتمثل في أوامر إلهية مباشرة (الوصايا والشريعة الموسوية) يرتبط تنفيذها بوعد الله لبني إسرائيل بالخير والنصر إن أطاعوا، ووعيده لهم بالغضب والعقاب إن عصوا.

---

[23] *سفر التكوين* 6:6، **الكتاب المقدس**)الترجمة العربية(، Biblia.com، https://biblia.com/bible/ar-vandyke/genesis/6/6.

[24] *صموئيل الأول* 15:11، **الكتاب المقدس**)الترجمة العربية فاندايك(، BibleHub، https://biblehub.com/arb/1_samuel/15.htm.

[25] " (الخروج 20:19).

[26] (سفر التكوين 2:2)،

[27] (التكوين 11:5).

أما **في القرآن الكريم**، فصورة الله جل جلاله منزهة عن جميع النقائص البشرية: فهو الإله الواحد *الصمد* الذي *"لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد"* ، *"ليس كمثله شيء"* ، *"لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم"* ، *"وما مسّنا من لغوب"* (أي تعب) بعد خلق السماوات والأرض يؤكد القرآن تنزيه الله عن الندم أو الجهل أو الظلم؛ فلا يندم تعالى على شيء لأنه بكل شيء عليم منذ الأزل، ولا يظلم أحدًا مثقال ذرة لأن **العدل المطلق** من صفاته. وإذا كانت التوراة تصف الله بأنه **"إله غيور** "ينتقم من أعداء إسرائيل، فإن القرآن يصف الله بأنه **الرحمن الرحيم** الذي **وسعت رحمته كل شيء**[28] وأنه رب العالمين كافة لا رب قوم دون قوم. كذلك يُذكّر القرآن بأن الله لم يبعث النبي محمدًا ﷺ إلا رحمةً للعالمين جميعًا لا لقوم محدد وفي حين ركّزت التوراة على علاقة الله ببني إسرائيل كعلاقة خاصة (أساسها عهد الإثني عشر سبطًا)، يركز القرآن على علاقة الله بالبشرية جمعاء: فالله في القرآن هو رب الناس وملك الناس وإله الناس الذي بعث الأنبياء لهداية كل الأمم. ومن جهة أخرى، يرى المؤلف أن **منبع الإلزام الأخلاقي** في اليهودية كان الالتزام بالشريعة التي أعطاها الله لموسى – أي **النصوص التوراتية نفسها** –لذا نجد الأخلاق عندهم متأثرة بفهمهم لتلك النصوص وتطبيقها الحرفي ضمن مجتمعهم الخاص. أما في الإسلام، فمصدر الأخلاق هو أمر الله ونهيه المنزّل في القرآن والسنة، لكن مع تأكيد أن أوامر الله مرتبطة بتحقيق مقاصد الرحمة والعدل بين الناس، وأن الله فطر الناس على قدر من معرفة الخير والشر في نفوسهم (الفطرة الأخلاقية). فالقرآن يُخاطب ضمير الإنسان مستثيرًا إحساسه الفطري بالقيم" :*فأقم وجهك للدين حنيفًا، فطرة الله التي فطر الناس عليها* .وهذا يعني أن التصور القرآني يربط الأخلاق بإرادة إلهية حكيمة وشاملة وبفطرة إنسانية مشتركة، بينما ارتبطت الأخلاق في التوراة –كما يفهمها المؤلف – بإرادة إلهية موجّهة لقوم معيّن ولهوى العقوبات الدنيوية السريعة، مما أوجد تباينًا في شمول ومرونة المنظومة الأخلاقية بين الديانتين.

ب. مكانة الأنبياء ودورهم الأخلاقي

هناك اختلاف جذري بين نظرة التوراة للأنبياء ونظرة القرآن لهم، وينعكس ذلك بقوة على الدور الأخلاقي للأنبياء كنماذج يُقتدى بها .**في التراث التوراتي**، وعلى وجه الخصوص في قصص العهد القديم، يظهر الأنبياء كشخصيات عظيمة وقريبة من الله، ولكنهم ليسوا معصومين من الخطأ والخطيئة.

[28] فخر الدين الرازي، *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)*، ج 3، ص 176

فالتوراة تنسب لبعض كبار الأنبياء أخطاءً جسيمة على الصعيد الأخلاقي: نسبَت إلى نوح عليه السلام شُربه الخمر حتى سَكِر وتكشّف[29]، وإلى لوط عليه السلام ما فعلته ابنتاه معه من منكَر[30]، وإلى هارون عليه السلام صُنعه العجل الذهبي وقيادته بني إسرائيل إلى الوثنية في غياب موسى[31]، وإلى داود عليه السلام زناه بامرأة أوريا وقتله زوجها غدرًا[32]، وإلى سليمان عليه السلام أنه مال في شيخوخته إلى عبادة أوثان نسائه وبنى لها معابد للوثن[33] هذه الصورة التوراتية تجعل الأنبياء — وهم حملة رسالة الله — بَشرًا قد يقترفون كبائر الذنوب، وبالتالي ينفون عنهم عمليًا صفة القدوة الكاملة في الخير. صحيح أن الأدبيات اليهودية والمسيحية تفسّر هذه القصص بطرق مختلفة وتحاول أحيانًا تبريرها أو تأويلها، لكن المحصّلة هي الاعتقاد بأن الأنبياء ليسوا معصومين بالضرورة عن الزلل في حياتهم الشخصية، وإن كانوا معصومين عند تبليغ رسالة الله (بحسب بعض المفسرين عندهم).

في المقابل، يقدّم القرآن الكريم الأنبياء بوصفهم صفوة البشر المصطفَين الأخيار، المتحلّين بفضائل الأخلاق، المنزّهين عن الكبائر والرذائل التي تقدح في مقام النبوّة. فكل الأنبياء في القرآن دعوا أقوامهم إلى مكارم الأخلاق وكانوا هم أول الملتزمين بها؛ العصمة — بمعنى الحفظ والتسديد الإلهي — نالتهم في الجملة، فلم يرد في القرآن أي نص صريح يثبت ارتكاب نبي لفاحشة أو خيانة أو ما شابه مما نُسب إليهم في كتب أهل الكتاب. بل على العكس، يثني القرآن على أخلاق الأنبياء: فيصف إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنهم ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (ص: 45–47)، ويصف يوسف بأنه اجتنب الفاحشة وكان ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: 24)، وكان ﴿صِدِّيقًا﴾ (يوسف: 46)، ويصف موسى بأنه كان ﴿مُخْلَصًا

---

[29] *سفر التكوين* 9:20–23، **الكتاب المقدس بالعربية**، Wikisource، https://ar.wikisource.org/wiki/سفر_التكوين.

[30] *سفر التكوين* 19:30–38، **الكتاب المقدس بالعربية**؛ وانظر: سلام ضاهر، *تهافت عقيدة اليهود في الأنبياء وإشكالية العصمة في التوراة والعهد القديم*، مجلة أوراق ثقافية، https://www.awraqthaqafya.com/837/.

[31] *سفر الخروج* 32:1–6، **الكتاب المقدس بالعربية**، St-Takla.org، https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=2&chapter=32.

[32] *صموئيل الثاني* 11:2–17، **الكتاب المقدس بالعربية**؛ وانظر: سلام ضاهر، *تهافت عقيدة اليهود في الأنبياء*، مجلة أوراق ثقافية، https://www.awraqthaqafya.com/837/.

[33] *سفر الملوك الأول* 11:1–8، **الكتاب المقدس بالعربية**؛ وانظر: سلام ضاهر، *تهافت عقيدة اليهود في الأنبياء*، مجلة أوراق ثقافية، https://www.awraqthaqafya.com/837/.

وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 51)، ويصف داود بأنه ﴿ أَوَّابٌ﴾ (ص: 17)، وأن الله شدّد ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب (ص: 20)، ويصف سليمان بأنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 30)، ويصف لوطًا بأنه آتاه الله حكمًا وعلمًا ونجّاه من عمل قومه الخبيث وأنه كان من الصالحين ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ... وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء: 74–75). هذه الصورة القرآنية تؤكد على سمو مكانة الأنبياء وعظمة أخلاقهم وعصمتهم من الكبائر، وذلك ليكونوا قدوةً للناس في أقوالهم وأفعالهم. ويقرر القرآن مبدأ عصمة الرسل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (الشعراء: 210–212) (لا ينبغي للرسل الكذب أو الخيانة) وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ (آل عمران: 161) (أي لا يمكن أن يخون الأمانة)؛ كما يأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقتدي بهدي الأنبياء من قبله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: 90). وقد تضافرت أقوال علماء الإسلام على أن الأنبياء معصومون عن الكبائر وكل ما يخل بالمروءة، حفظًا لمقام النبوة من التزعزع. لذلك دور الأنبياء الأخلاقي في الإسلام أعظم بكثير منه في التصور التوراتي؛ فهم في الإسلام المثال العملي للأخلاق الإلهية، جعلهم الله قدوات ليُتأسّى بهم، فلا يُتصوَّر في حقهم ما ينفّر الناس عنهم من أفعال مشينة.

أما في التوراة، فمكانة الأنبياء تأثرت بصبغة بشرية قابلة للخطأ، مما أضعف — في نظر المؤلف — قيمة الاقتداء بهم أخلاقيًا لدى أتباع تلك الديانات. وقد انعكس ذلك تاريخيًا — كما يشير — في سلوك بني إسرائيل الذين لم يتورعوا عن عصيان أنبيائهم بل وقتلهم؛ إذ لم يكن الأنبياء مهابين كقديسين معصومين بل عوملوا كقادة يمكن أن يُخطئوا ويعارَضوا، حتى ولو كانوا أنبياء من عند الله.[34]

ج. المبادئ الأخلاقية الكبرى: الوصايا العشر والأخلاق القرآنية

سبق أن استعرضنا **الوصايا العشر** التي تمثل لبّ الأخلاق التشريعية في التوراة. هذه الوصايا تضمنت التوحيد والنهي عن الشرك، وبر الوالدين، وتحريم القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور والطمع، بالإضافة لأحكام عبادية (كتقديس يوم السبت الذي لم نذكره آنفًا)[35] وعند المقارنة نجد **تقاربًا كبيرًا** بين أخلاقيات التوراة الأساسية وما يدعو إليه **القرآن الكريم** من مبادئ؛ فالقرآن جاء مصدّقًا لجملة ما سبق

---

[34] **Nehemiah 9:26–38**

[35] *سفر الخروج*. الإصحاح 20. **الكتاب المقدس بالعربية**. Enjeel.com. https://www.enjeel.com/bible.php?bk=2&ch=20.

من الشرائع، وأكد على معظم تلك الوصايا الخلقية: فالتوحيد وإخلاص العبادة لله هما الرسالة الجوهرية للإسلام، وتحريم الشرك من أعظم المحرّمات. البرّ بالوالدين من أوامر القرآن المتواترة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: 23). تحريم القتل جاء في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: 151)، بل جعل القرآن قتل نفس بريئة واحدة كقتل الناس جميعًا. وتحريم الزنا ورد صريحًا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 32). تحريم السرقة جاء ضمنيًا بوضع حدٍّ لها وذمّ أكل أموال الناس بالباطل. تحريم شهادة الزور والكذب أكدته السنة وعدّته من أكبر الكبائر، وذمّ القرآن الزور في قوله عن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: 72). والنهي عن الطمع والحسد ورد في التوجيه النبوي: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا...» وفي قول الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء: 32). من هذا المنطلق، نجد أن المنظومة الأخلاقية القرآنية في جانب كبير منها موافقة لمبادئ الشريعة الموسوية في تحريم الكبائر والرذائل الأساسية.

بيد أن القرآن –كما يشرح المؤلف– لم يكتفِ بتكرار تلك المبادئ، بل جاء ليُتمّم مكارم الأخلاق ويكمّلها ويصحح الانحرافات التي وقع فيها أتباع الشرائع السابقة. فقد توسّع الإسلام في غرس فضائل أخرى إلى جانب ما سبق، ورفع من سقف التعامل الأخلاقي بقدر أعلى من التوجيهات الروحية. المبادئ الأخلاقية الكبرى في الإسلام تشمل بالإضافة لما سبق: قيمة العدل في التعامل حتى مع الخصوم ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: 8)، وقيمة الإحسان أي بذل الخير فوق العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: 90)، وقيمة الرحمة بالضعفاء والخلق كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وقيمة الأمانة وأداء الحقوق، والصدق في الحديث، والتواضع، وغيرها كثير. ويمكن القول إن الأخلاق القرآنية تمتاز بشمولية أوسع؛ فهي لا تقتصر على مجموعة محدودة من الوصايا العشر، بل تشمل منهج حياة مفصّل قوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق لكل ذي حق، والتحلي بالرأفة والوفاء وكظم الغيظ والعفو وما إلى ذلك من مكارم الأخلاق.

وقد لخّص النبي محمد ﷺ رسالة بعثته بقوله المشهور: «إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[36]، أي ليُكمل بناء صرح الفضيلة الإنسانية الذي جاءت به الرسالات من قبله. ومن الأمثلة على توسعة القرآن للمبادئ الأخلاقية: أنه بعد أن كرر تحريم المحرمات الأساسية، شدّد أيضًا على البعد الداخلي للأخلاق

[36] أخرجه مالك في *الموطأ*، كتاب حُسن الخُلق، حديث رقم (1614)، وأحمد في *المسند* حديث رقم (8595)، والحاكم في *المستدرك* حديث رقم (4221)، والبيهقي في شعب *الإيمان* حديث رقم (7606)، والحديث **حسن لغيره** بمجموع طرقه.

كالإخلاص والتقوى؛ فليست الفضيلة مجرد التزام ظاهري بالأحكام كما كان يفهمها بنو إسرائيل، بل روح تنبع من القلب. يقول تعالى: [[لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ]] (الحج: 37)، أي أن العبرة في قربان الأضاحي مثلًا ليست بذبحها شكليًا بل بما يعكسه ذلك من تقوى وخضوع لله في القلوب. وكذلك قال: [[لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ... وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ... وَالصَّابِرِينَ]] (البقرة: 177)، التي تجعل البرّ منظومةً من الإيمان والأعمال الصالحة المتعدية النفع للآخرين، وليس مجرد طقوس شكلية. يتضح مما سبق أن القرآن وسّع إطار الأخلاق ليشمل النيات والبواعث الداخلية إلى جانب الأفعال الخارجية، بينما ركزت التوراة على الامتثال الحرفي للوصايا وربطت البركة أو العقاب بهذا الامتثال الظاهري في الأغلب.

د. عالمية الأخلاق مقابل قوميتها

أحد أبرز الفوارق بين أخلاق التوراة وأخلاق القرآن هو نطاق شمولها ومن تخاطبه تلك المنظومة الأخلاقية. يظهر من نصوص التوراة – وخاصة أسفار الشريعة – أن مخاطَب الأحكام والأخلاق الأساسية فيها هم **بنو إسرائيل حصراً**، بوصفهم شعب الله المختار المتعاهد معه. فالكثير من الوصايا والفرائض موجّهة إلى بني إسرائيل ليعملوا بها في أرض الميعاد، وتعدهم التوراة إن التزموا بها أن يجعلهم الله *"شعبًا مقدسًا... وشعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض*[37].

وهكذا ارتبطت الأخلاق في الفكر التوراتي بالهوية القومية لبني إسرائيل، وأصبحت معايير التعامل مع *"القريب"* (أي الإسرائيلي) تختلف عن معاملة *"الأجنبي"* أو *"الأممي"*. على سبيل المثال، نصّت شريعة التوراة على تحريم الربا بين الإسرائيليين لكنها تبيحه إذا كان المقترض أجنبيًا (تثنية 23:20)، وأمرت بالإحسان إلى *النزيل* (الأجنبي المقيم) لأن بني إسرائيل كانوا أجانب في مصر، لكنها في مواضع أخرى أمرت باستعباد شعوب أرض كنعان أو طردهم. فالأخلاق التوراتية تتسم – تاريخيًا ونصيًا – بأنها **أخلاق خاصة بالعشيرة والإثنية الإسرائيلية** ضمنًا. وقد أدى هذا التصور إلى نوع من العزلة: فالمحبة والأخوة مقصورة على *"بني شعبك"*، أما *"الأغيار"* فليسوا داخل إطار التكليف الأخلاقي ذاته، بل ربما كانوا محلا للعداء أو القتل كما ظهر في حروب العهد القديم.

---

[37] *سفر التثنية* 8–7:6، **الكتاب المقدس بالعربية**، St-Takla.org، https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses.php?book=5&chapter=7&vmin=6&vmax=8.

على النقيض من ذلك، جاءت رسالة الإسلام بأخلاق ذات **طابع عالمي إنساني**، تخاطب البشر قاطبةً وتجعل التقوى والعمل الصالح هو ميزان التفاضل الوحيد بين الناس" :*يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم* ." لم يعد هناك شعب مختار حصري في الإسلام؛ فخيرية الأمة ترتبط بمدى قيامها بالعدل والخير، وهي مفتوحة لكل من آمن *وعمل صالحًا* . لذلك أخلاق القرآن موجهة للعرب وغير العرب على السواء، بل إن كثيرًا من آيات الأخلاق في القرآن تخاطب بصيغة" *يا أيها الناس* " (أي الناس جميعًا) وليس فقط" *يا أيها الذين آمنوا*" ، مما يؤكد عالمية الرسالة. وعندما أسلم بعض أهل الكتاب أو الأقوام الأخرى ودخلوا في جماعة المسلمين، تساووا في التكاليف والحقوق مع سائر المسلمين دون تمييز. ويشير المؤلف إلى أن هذه العالمية القرآنية في الأخلاق جعلت **القيم الإسلامية ذات طابع إنساني شمولي**؛ فالصدق والأمانة وبر الوالدين والإحسان وغيرها ليست فضائل ضمن جماعة دينية واحدة فحسب، وإنما هي فضائل ينبغي أن تسود علاقات المسلم مع كل إنسان لمجرد أخوة الإنسانية. وتجدر الإشارة إلى أن القرآن – بخلاف التوراة – لم يعطِ أفضلية أخلاقية لجنس أو قومية: حتى العرب لم يوصفوا بأنهم أفضل الأمم إلا بقدر التزامهم بالدين، وقد وبّخهم القرآن مرارًا عند انحرافهم. وهكذا تؤكد تعاليم النبي ﷺ أنه *لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى*.

جانب آخر في هذا الإطار هو أن الإسلام أرسى أخلاق التعامل مع **غير المسلمين** على أسس العدل والرحمة أيضًا؛ فالقرآن يقول" :*لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين... أن تبروهم وتقسطوا إليهم* " (الممتحنة 8) – أي يجوز برّ غير المسلم المسالم والعدل معه. بينما في التوراة، أخلاق التعامل مع خارج دائرة بني إسرائيل اتسمت بالقسوة والتشدّد في عدة مواضع كما أسلفنا، حيث أُبيح لبني إسرائيل استعباد الشعوب الأجنبية أو عدم التحلّي تجاهها بنفس واجبات الأخوة. يمكن القول إذن إن **أخلاق التوراة كانت نسبيةً مرتبطة بالقومية العبرية** –وهو أمر قد تفسّره ظروف تلك المرحلة التاريخية – في حين أن **أخلاق القرآن مطلقةٌ وعابرة للقوميات**، تصلح أساسًا لعلاقات دولية وإنسانية أوسع بكثير من مجتمع الرسول ﷺ الخاص. وقد أسهمت هذه العالمية في انتشار الإسلام بين شعوب شتى وجدوا فيه دينًا يتحدث لغتهم الأخلاقية الفطرية ويقيم المساواة بينهم وبين العرب والمسلمين الأوائل.

هـ. أخلاق التعامل مع الآخرين: بين نصوص الحرب في التوراة وأخلاق الحرب في القرآن

أحد الموضوعات التي تبرز فيها الفروق الأخلاقية بين التوراة والقرآن هو موضوع **التعامل مع الخصوم في حالة الحرب** .لقد ورد في التوراة، كما مرّ، نصوص صريحة تأمر بني إسرائيل بالإبادة التامة لأقوام بأسرهم في سياق حروبهم الدينية. فعلى سبيل المثال، أمرت التوراة بني إسرائيل في حرب كنعان" :*لا تستبقوا فيها نسمة حيّة*[38] " أي قتل الجميع دون تمييز، وأمرتهم في حرب العمالقة" :*بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلًا ورضيعًا* [39] ...هذه النصوص – التي شكّل تنفيذها جزءًا من تاريخ بني إسرائيل بحسب العهد القديم – تعكس ما يمكن وصفه بـ**نزعة التطهير الحربي** أو **الحرب المقدسة الشاملة**، حيث يُعامَل العدو ككتلة ينبغي استئصالها بالكامل كقربان للرب ومحو **الشر** من الأرض. ولا تقتصر أحكام الحرب في التوراة على هذا، بل فيها كذلك تشريعات لاستعباد الأسرى واغتنام البلاد، ومعاملة المدن البعيدة مختلفًا عن المدن القريبة (تثنية 20:10–15). إجمالًا، يظهر أن أخلاق الحرب التوراتية اتسمت بقسوة شديدة وغياب التسامح أو الرحمة مع العدو، وارتبط ذلك بسياق اعتقاد بني إسرائيل بأنهم ينفذون أوامر إلهية وأن الشعوب الأخرى وثنية شريرة لا تستحق الحياة.

في المقابل، بلور القرآن الكريم والسنة النبوية منهجًا مختلفًا جذريًا في أخلاقيات الحرب، يمكن وصفه بأنه منظومة الحرب العادلة والرحيمة. ابتداءً، لا يبيح الإسلام القتال ابتغاء العدوان أو الإبادة، وإنما شرع القتال للدفاع ودفع الظلم وحماية الدين والأنفس. يقول الله تعالى مخاطبًا المسلمين: [[وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]] (البقرة: 190) – فهذا أمر صريح بأن يكون القتال ردًا على من يباشر القتال والعدوان فقط، مع النهي عن مجاوزة الحد أو استهداف غير المحاربين. وعندما أذن الله للمسلمين بالقتال لأول مرة، علل ذلك بقوله: [[أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا]] (الحج: 39) أي بسبب وقوع العدوان عليهم. ثم وضع الإسلام مبادئ السلم أثناء الحرب، فأمر بأنه متى جنح العدو للسلم وجب الميل إليه: [[وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]] (الأنفال: 61). ونهى عن قتل من لا شأن له بالحرب كالشيوخ والنساء والأطفال؛ وجاءت الأحاديث النبوية

---

[38] *سفر التثنية* 20:16، **الكتاب المقدس (الترجمة العربية فاندايك)**، Blue Letter Bible، https://www.blueletterbible.org/verse/svd/deu/20/16.

[39] *سفر صموئيل الأول* 15، **الكتاب المقدس بالعربية**، BibleHub، https://biblehub.com/arb/1_samuel/15.htm.

والإجماع على تحريم قتل غير المقاتلين إلا في حالات نادرة يعتريها الخطأ. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «نهى عن قتل النساء والصبيان» في الحرب (رواه البخاري ومسلم). وثبت في وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة قوله: «لا تقتلوا امرأة ولا صبيًا ولا شيخًا كبيرًا ولا تقطعوا شجرًا مثمرًا...» إلخ، مما يدل على التزام الخلفاء بوصايا نبيهم في الترفق حتى في ساحات القتال. كذلك معاملة الأسرى في الإسلام تقوم على الرحمة، فالقرآن يخير بين إطلاق سراحهم مجانًا أو مقابل فدية أو مبادلة أسرى، ويحرم قتل الأسير للانتقام بغير سبب شرعي. وأيضًا شرع الإسلام مبدأ العفو عند المقدرة؛ فأعظم مثال على ذلك عفو النبي ﷺ عن أهل مكة يوم فتحها بقوله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» رغم كل ما فعلوه به وبأصحابه، بينما كانت سنة الملوك آنذاك البطش بالعدو المهزوم وسبي نسائه وأطفاله (كما فعل بنو إسرائيل بمدن الكنعانيين). ومما لا شك فيه أن لهذه المبادئ القرآنية أثرًا أخلاقيًا بالغ السمو: فقد حفظت كرامة الإنسان حتى في حال العداوة، وجعلت الحرب في الإسلام محدودة الأهداف (دفع العدوان) ومقيدة بقيم إنسانية عليا، بخلاف الحروب التوراتية التي صُبغت بالصبغة العقائدية المطلقة وغياب الاعتبار الإنساني للخصم .

يمكن إيجاز **أخلاق الحرب في القرآن** في نقاط: القتال مشروع لدفع الظلم والعدوان فقط وليس لإكراه أحد على الدين (فقد قال تعالى" :*لا إكراه في الدين* —" البقرة 256)، يجب الكفّ عن القتال إذا توقّف العدوان أو عقد العدو صلحًا") *فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين* —" البقرة 193), لا يجوز التمثيل بالقتلى ولا قتل المدنيين ولا التخريب دون ضرورة عسكرية، الواجب الإحسان إلى الأسرى ")*ويُطعمون الطعام على حبّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا* —" الإنسان 8(، **والأصل في الإسلام السلام** ما أمكن" :*وإن جنحوا للسلم فاجنح لها* " كل هذا يمثل تطورًا أخلاقيًا كبيرًا عما ورد في التوراة من استحلال دماء الآخرين. وبناءً عليه، يؤكد المؤلف أن **الأخلاق القرآنية في الحرب** أكثر رحمة وعدلًا وإنسانية من التصور الذي رسمته التوراة لحروب بني إسرائيل، مما يعكس اختلاف النظرة إلى *الآخر* وإلى قيمة النفس البشرية في كلا الديانتين.

و. المسؤولية الأخلاقية: التركيز الطقوسي في التوراة مقابل النية والقيمة في الإسلام

من الفوارق الدقيقة التي يناقشها المؤلف أيضًا اختلاف التركيز بين التوراة والقرآن فيما يتعلق بجوهر *المسؤولية الأخلاقية* .فلدى استعراض الشريعة الموسوية، يلفت النظر التركيز الكبير على **الطقوس والشعائر الظاهرة** ضمن المنظومة الدينية والأخلاقية اليهودية. فالكثير من أحكام التوراة تتعلق بالتفاصيل الشعائرية والطقسية: حفظ يوم السبت تحريمًا لأي عمل فيه، أنواع الأطعمة المباحة والمحظورة (شرائع

الطعام الكوشري)، طقوس التطهير من النجاسات الحسية، الأعياد والمواسم المقدسة وطرق الاحتفال بها، دقة تقديم القرابين والذبائح في الهيكل، إلخ. لقد شغل الجانب الطقوسي حيّزًا واسعًا من حياة التقوى عند بني إسرائيل – فكان الامتناع عن عمل أي شيء يوم السبت مثلًا مقياس التديّن لديهم إلى درجة رجم من انتهك حرمة السبت (كما في قصة الرجل الذي جمع الحطب يوم السبت فحُكم عليه بالرجم في سفر العدد 15). وكذلك اعتُبرت الختان الجسدي علامة العهد المقدس مع الله، وعدّ الامتناع عن بعض الأطعمة (كالخنزير والأرانب والأسماك التي بلا حراشف...) جزءًا من الطاعة الدينية. هذه الأمور على ارتباط بالأخلاق من جهة مفهوم *الامتثال لأمر الله*، لكنها في ذاتها **طقوسية الشكل** أكثر مما هي قيمية المضمون. ولذلك يرى المؤلف أن أخلاق التوراة كثيرًا ما **انحصرت في إطار الطقوس والامتثال الظاهري**، وغاب عنها – أو قلَّ فيها – ربط العمل بالنية الباطنة أو المعنى الروحي العميق. بالطبع، أنبياء بني إسرائيل أنفسهم نبهوا أقوامهم مرارًا إلى روح الشريعة، فنقرأ في التوراة أن صموئيل قال" :*هل يُسرّ الرب بالمحرقات... كمُسرّته بالطاعة لصوته؟ هوذا الطاعة خيرٌ من الذبيحة* "[40]، وجاء على لسان هوشع النبي" :*إني أريد رحمة لا ذبيحة* "[41]ووبّخ إشعياء بني إسرائيل لإكثارهم الطقوس دون عمل الخير والعدل[42]. أي أن *العهد القديم نفسه* حاول تصحيح المسار نحو التركيز على جوهر الأخلاق (كالرحمة والعدل) بدلًا من الاكتفاء بالمظاهر الشعائرية. مع ذلك، يغلب على المنظومة اليهودية –كما تطورت لاحقًا أيضًا – الاهتمام بالتفاصيل العملية للشريعة أكثر من المقاصد، مما أثّر على مفهوم المسؤولية الأخلاقية لديهم بأنها **إيفاءٌ حرفي بالفرائض** أكثر من كونها نابعة من نية وقصد لإرضاء الله.

في **الإسلام** جاء تصحيح هذا المفهوم جليًّا. إذ ركز القرآن والسنة على أن **الأعمال بالنيات**، وأن صحة العمل وقيمته عند الله تعتمد على إخلاص فاعله وإرادته وجه الله به، لا على شكله الظاهري فحسب. فرب عمل صغير عَظُمَت قيمته بالنية، ورب عمل كبير حبط بسبب الرياء أو فساد المقصد. وقد قال النبي ﷺ» :*إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى* «(متفق عليه)، جاعلًا النية معيار القبول والثواب. وأكد القرآن في مواضع عديدة هذا المعنى؛ فبعد أن ذكر أحكام القتال مثلاً قال" :*ومن يقاتِل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا* " (النساء 74) – أي بشرط أن يكون قتاله **في**

[40] (صموئيل الأول 15:22)

[41] (هوشع 6:6)،

[42] (إشعياء إصحاح 1)

سبيل الله لا لأغراض أخرى. وفي شعيرة الذبح يوم الأضحى التي هي من أعظم الشعائر، نزل قوله تعالى لينبه المسلمين إلى المعنى" :*لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم*" ؛ وكذلك قول الرسول ﷺ عن الصيام" :*من لم يدَع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه* " (رواه البخاري)، أي أن الصيام بلا أخلاق ولا ترك للكذب لا معنى له عند الله. إذن **المسؤولية الأخلاقية في التصور الإسلامي** تُركّز على **القيمة والنيّة** الكامنة وراء الفعل، وليس مجرد أدائه ظاهريًا. فكم من منافق يصلي ويصوم ويزكّي لكن دون إيمان صادق فلا تُقبل منه أعماله؛ بينما نية المؤمن الصادقة قد يشفع لها خطؤه إن زلّ ثم تاب. هذا لا يعني أن الإسلام أهمل الطقوس – فهو أيضًا جاء بعبادات وشعائر تفصيلية – لكنه ربطها دومًا بالغاية الأخلاقية الروحية منها. فالصلاة مثلًا"*تنهى عن الفحشاء والمنكر* " (العنكبوت 45)، والزكاة"*تطهّرهم وتزكّيهم* " (التوبة 103)، والصوم"*لعلكم تتقون* " (البقرة 183). أي أن العبادات نفسها وُظّفت لتربية المزكّي أخلاقيًا. وعلى مستوى الشريعة العملية، يُشار إلى أن الإسلام كان أخف تكليفًا في جانب الأحكام الطقسية من اليهودية، تخفيفًا ورحمة؛ فقد رُفع عن المسلمين ثقلُ السبت وتحريمُ كثير من الطيبات الذي فُرض على اليهود من قبل بسبب تعنتهم" :*فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلّت لهم* "...(النساء 160). فكان نهج الإسلام وسطًا بين الروحانية الخالصة والمادية التشريعية، جامعًا بين الشعائر البدنية والمعاني القلبية.

وخلاصة القول، يوضح المؤلف أن **الأخلاق في الإسلام تقوم على المقاصد والقيم** بقدر قيامها على الالتزام الظاهري، بينما كانت أخلاق بني إسرائيل – كما عُرضت في التوراة – تميل إلى التركيز على رمزية الأفعال والطقوس عينها كدلالة على طاعة الله. وهذا الفارق أنشأ اختلافًا في تقييم التقوى: فاليهودي قد يرى نفسه بلغ الفضيلة إن أتمّ الشرائع حرفيًا (كما فعل الفريسي المذكور في إنجيل لوقا 18" :*صُمتُ مرتين وأعشّر كل ما أقتني*(" ...، أما المسلم فيُعلّمه دينه أن أداء العبادات هو وسيلة لتهذيب النفس وامتحان صدق الإيمان بالله وحسن الخلق مع خلقه، فلا عبرة للصورة بدون الجوهر. وقد جسّد رسول الله ﷺ هذا بقوله» :*ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر* «(ابن ماجه) – تنبيهًا إلى أن العبادة إن لم تقترن بخشوع وإخلاص وأثر في السلوك، فهي فارغة من مضمونها الأخلاقي. وبهذا تتضح مرّة أخرى كيفية إكمال الرسالة المحمدية لما قبلها وتصويب مسار التدين نحو **لبّ الأخلاق** بعد أن طغى الشكل في عصور سابقة.

تقييم نقدي لمنهج المؤلف في الفصل

بعد هذا العرض المقارن بين أخلاق التوراة وأخلاق القرآن، يحسن الانتقال إلى **تقييم منهج المؤلف السيد أبو ضيف المدني** في تناوله للفصل الأول من كتابه. يتناول التقييم نقاط القوة العلمية في منهجه، إلى جانب بعض المآخذ أو نقاط الضعف التي يمكن رصدها، وذلك لقياس مدى نجاحه في تحقيق دراسة أكاديمية عادلة ومتوازنة.

نقاط القوة في منهج المؤلف :من أبرز إيجابيات منهج المدني دقته في **جمع النصوص الأساسية** المتعلقة بموضوع الأخلاق التوراتية من مصادرها الأصلية. فقد أورد أهم الأمثلة والنصوص المفتاحية التي تعكس قيم التوراة وسلوكيات بني إسرائيل، مثل الوصايا العشر وقصة العجل وقصص الأنبياء وغيرها، مما أعطى القارئ صورة شاملة عن المادة التوراتية ذات الصلة.كما يُحسب له **الاستناد إلى نصوص موثقة**؛ إذ يذكر الآيات والمراجع من أسفار التوراة ذاتها، وأحيانًا ينقل بالنص (مترجمًا للعربية) ما ورد فيها .وهذا يمنح القارئ ثقة بأن التحليل مبني على وقائع النص وليس انطباعات عامة. كذلك يمتاز طرحه بأسلوب **موضوعي سلس**، حيث قسّم الموضوع إلى عناصر واضحة (سياق تاريخي، سلوكيات بني إسرائيل، مبادئ نظرية، انحرافات تطبيقية، صور الأنبياء... إلخ) مما ساعد على تنظيم الأفكار وتوضيحها. ومن نقاط القوة أيضًا إلمامه بكثير من تفاصيل التراثين اليهودي والإسلامي؛ فقد أظهر معرفة بروايات العهد القديم وتفاسير القرآن الكريم ذات الصلة، مما مكّنه من إجراء مقارنة مستنيرة. وأخيرًا، وُفق المؤلف في إبراز **الفروق الجوهرية** في المنظور الأخلاقي بين الديانتين – والتي سبق تفصيلها – كالتوحيد والتنزيه الإلهي والعالمية والنية، وهذا يدل على قدرته على التحليل والاستنباط وليس مجرد جمع الروايات.

نقاط الضعف والمآخذ :على الرغم من المزايا المذكورة، هناك بعض جوانب قصور في منهج المدني تستدعي النقد. فمن ذلك **الانتقائية في العرض والمقارنة**؛ إذ ركز المؤلف بشكل كبير على نقائص أخلاق بني إسرائيل وعيوب روايات التوراة، في حين قلّل من إبراز الفضائل الموجودة أيضًا في تراثهم. فالتوراة – رغم كل الانتقادات – اشتملت على مواضع تدعو للرحمة والعدل (مثل وصية *"أحبب قريبك كنفسك* –" اللاويين 19:18، والتحذير من ظلم الغريب واليَتيم)، إلا أن الكاتب لم يركز على تلك

الإيجابيات بنفس قدر تركيزه على السلبيات. وهذا ربما يُظهِر قدرًا من **التحيّز** أو الرغبة في إظهار تفوّق المنظور الإسلامي عبر تضخيم مساوئ المنظور التوراتي. كما أن **المقارنة** في بعض المواضع بدت **غير متكافئة** منهجيًا؛ فمثلًا، قارن الكاتب بين أسوأ ما في قصص بني إسرائيل (كقتل الأنبياء والزنا) وبين المثاليات العليا في الإسلام، دون أن يوضح أن كثيرًا من عوام المسلمين تاريخيًا وقعوا في معاصٍ لا تقل سوءًا — وإن كان الفرق في *عدم نسبة ذلك للرسل* .بمعنى آخر، المقارنة كانت بين النصوص والمثل، ولكن القارئ قد يتساءل عن واقع الأخلاق لدى المسلمين مقارنةً بواقعها لدى اليهود، وهذا جانب لم يتطرّق له المؤلف خارج إطار النص النظري. ومن المآخذ أيضًا **عدم استعانة المؤلف بمراجع يهودية أو مسيحية معاصرة** في التحليل؛ فهو لم يذكر مثلًا رأي علماء اللاهوت اليهود في مسألة خطايا الأنبياء، ولا كيف يفهم اليهود نصوص الحروب الآن — وهي قضايا ناقشها باحثون يهود ومسيحيون كثيرًا. كان إدراج وجهة نظر *الآخر* سيثري الدراسة ويجعلها أكثر حيادًا وأكاديمية، بدل أن تبقى المقارنة *أحادية الصوت* من الجانب الإسلامي فقط .ويؤخذ عليه أيضًا **قلة التوثيق التفصيلي لبعض النقولات التراثية**؛ فقد ذكر أن "المسيحيين يدّعون عصمة الأنبياء في التبليغ فقط "...واسترسل في ذلك نقلاً عن كتاب إسلامي (إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي) دون أن يوضح المرجع مباشرة في كتابه. مثل هذه المواضع التي اعتمد فيها على نقود علماء مسلمين سابقين للكتاب المقدس كان يجدر به توثيقها والتنبيه على كونها آراء إسلامية وليست حقائق مسلّمة. إضافة إلى ذلك، هناك **جانب المعالجة العلمية الهادئة** : أسلوب المؤلف جاء أحيانًا عاطفيًا ولغته حادّة في ذم الأخلاق التوراتية (مثال ذلك وصفه لقصص الأنبياء التوراتية بأنها "صور مجحفة مقززة خطط لها صائغو التوراة للسيطرة بنشر الفساد الخلقي"، وهذا يعطي انطباعًا بوجود حكم قيمي مسبق أكثر من تحليل موضوعي صرف. فالباحث الأكاديمي قد يرى وجوب استخدام لغة أقل انفعالًا وأكثر وصفية تحليلية. وربما يعود ذلك إلى طبيعة الكتاب كجزء من دراسات مقارنة الأديان ذات الطابع الدعوي؛ لكنها تبقى نقطة ضعف من منظور البحث الأكاديمي البحت.

مدى صحة النقل ودقة الاستدلال :من ناحية توثيق النصوص، كان نقل المؤلف لنصوص التوراة دقيقًا في الجملة — فهو إما ينقل ترجمة سابقة (كترجمة فان دايك العربية) أو يلخّص المعنى مع عزوه إلى السفر والإصحاح .أما استدلاله بتلك النصوص، فغالبه وجيه؛ مثلاً استدل بقصة لوط لتبيان سقوط المثال الأخلاقي في نظر اليهود، وهذا استنتاج يتفق معه حتى بعض علماء الأخلاق اليهود الذين عبّروا عن

حرج من تلك النصوص. وكذلك استدلاله بآيات القرآن حول رحمة الله وعدله مقابل صورة الإله الغيور في التوراة جاء في محله. لكنه أحيانًا كان **يتجاوز حدود الاستدلال المشروع** باستنباطات قد يراها خصمه غير لازمة. مثال ذلك: استنتاجه أن "نسبة الأنبياء للفواحش تشيع الفاحشة بين الناس – "قد يقول المدافع اليهودي أن هذا الاستنتاج مبالغ فيه، وأن المؤمن مطالب باتباع الشريعة لا تقليد أخطاء الأنبياء. صحيح أن الإسلام يرى عصمة الأنبياء ضرورية لتكتمل الحجة الأخلاقية، لكن خصومه لا يسلمون بذلك. فكان الأولى عرض الاستدلال بشكل لا يغلق باب الحوار، كأن يقول" :*إن نسبة هذه الأفعال للأنبياء تؤدي – من منظور إسلامي – إلى التساهل الأخلاقي لدى الأتباع* " مثلًا. ومع ذلك، تظل كثير من استدلالات المدني قوية، خصوصًا حين قارن بين نصوص القتل التوراتية ونصوص العدل القرآنية، فهذا برهان نصي مباشر على الفرق بين التشريعين. وفي المجمل، يمكن القول إن **عدالة المقارنة** عند المؤلف تتأثر أحيانًا بغرضه (الدفاعي) عن تفوق المنظومة الإسلامية، لكنه عمومًا لم يختلق شيئًا ولم يلجأ لتزييف النصوص، بل اعتمد الموجود وناقشه من زاوية إسلامية واضحة.

منهجية بناء الفصل وتنظيمه :من الناحية البنائية، الفصل كان حسن التنظيم في ترتيبه الداخلي (كما ظهر في العرض الموضوعي أعلاه). انتقل المؤلف من التاريخ إلى السلوك ثم المبادئ فالانحراف ثم الأنبياء ثم خلاصة مقارنة، وهذا تسلسل منطقي ساعد القارئ على تتبع الفكرة. ربما يؤخذ عليه أنه **أدمج بعض المقارنة ضمن العرض الوصفي** (في العنصر 6 الذي أشرنا إليه)، وكان الأنسب ترك كل المقارنة للقسم الخاص بها. لكنه برر ذلك بأن تللك إشارات سريعة فقط. أيضًا كان يمكنه **تقسيم بعض الفقرات** الطويلة إلى عناوين فرعية لتسهيل القراءة – وخاصة الجزء الذي عرض فيه قصص الأنبياء – لكنه لم يفعل ربما لجعل الفصل يبدو نصيًّا متصلًا بدون تقطيع أكاديمي؛ وهذا اختيار أسلوبي أكثر منه منهجي. النقطة التي برزت كمأخذ منهجي هي **انعدام مصادر المراجع الحديثة** تقريبًا: فالمؤلف اكتفى بالنقولات من التوراة والقرآن وشروحها التراثية، ولم يُضمّن دراسات أكاديمية حديثة حول أخلاق العهد القديم أو النقد الكتابي مثلًا. في سياق بحث جامعي، كان يُفضل الاستشهاد برأي باحث يهودي في *أخلاقيات التوراة* أو عالم اجتماع دين يقارن منظومات القيم؛ لكن المدني اعتمد نهجًا تقليديًا يُكثر فيه من الاستشهاد بالنصوص ذاتها بدل آراء الباحثين. قد يُعزى ذلك لكون الكتاب أصدره في التسعينات وربما لم تتيسر له مراجع حديثة بالعربية، ومعرفته باللغات الأجنبية ربما محدودة. على كل حال، هذا لا ينتقص كثيرًا من قيمة عمله، لكنه يُعد نقطة ضعف عند تقييم *أكاديمي صرف*.

القيمة العلمية والمساهمة المعرفية للفصل :بالرغم مما سبق من ملاحظات، حقق الفصل قدرًا جيدًا من الأهداف المعرفية المرجوة. فقد قدم معلومات غزيرة حول أخلاق التوراة مدعومة بنصوصها، وهذا مفيد جدًا للقارئ المسلم الذي قد لا تتاح له قراءة كتب اليهود والنصارى بسهولة. كذلك، وضع تلك المعلومات ضمن سياق مقارِن مع أخلاق القرآن، مما يعطي القارئ فهما أعمق *لتميز المنظومة الأخلاقية الإسلامية* وتواصلها مع ما سبقها. ويمكن اعتبار هذا الفصل **مساهمة علمية معتدلة** في مجال دراسات مقارنة الأديان؛ فهو لا يرقى إلى بحث أكاديمي محكّم عميق في فلسفة الأخلاق الدينية، لكنه أيضًا يتجاوز الطرح الوعظي التبسيطي، ليقدم طرحًا وسطًا يجمع بين المعلومة والتحليل من منظور إسلامي. وربما تكون أهم قيمة علمية له أنه يكشف نقاط الضعف الأخلاقية في التراث اليهودي كما يراها المسلمون، ويدعو الباحثين للنظر فيها – سواء للمقارنة أو لمحاولة التوفيق – مما يثري الحوار الفكري بين أتباع الديانات. وبالرغم من بعض انفعالية الأسلوب، إلا أن المحتوى غني بالإشارات الدقيقة (مثل نقده لمبدأ *الشعب المختار* وتأثيره الأخلاقي السلبي، وتنبيهه على تحول الدين إلى طقوس فارغة أحيانًا) وهذه أمور تستحق التأمل. من جهة أخرى، يمكن القول إن الفصل – كجزء من كتاب موجّه غالبًا لقراء مسلمين – يحقق هدفه في **ترسيخ قناعة تفوق المنهج الأخلاقي الإسلامي** وتصحيح النظرة لبعض قصص الأنبياء، لكنه لا يبذل جهدًا مماثلًا لجعل المخاطب اليهودي أو المسيحي يتقبّل النقد، نظرًا لطبيعة لغته الأحادية المنظور. وهنا تظهر محدودية الانتشار الأكاديمي له خارج الدائرة الإسلامية.

خاتمة

في الخلاصة، قدّم السيد أبو ضيف المدني في الفصل الأول من كتابه «*الأخلاق في الأديان السماوية* «عرضًا ثريًا ونقديًا لأخلاق التوراة في جوانبها النظرية والعملية، مبرزًا مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين أخلاق القرآن الكريم. وقد اتضح من خلال هذه المراجعة أن المؤلف نجح في بيان أن التوراة – برغم ما اشتملت عليه من وصايا ومُثل عُليا – نقلت لنا أيضًا تاريخًا لبني إسرائيل حافلًا بالتمرد والانحراف عن تلك المثل، مما استدعى تصحيحًا إلهيًا لاحقًا في القرآن. كما أبرزت الدراسة أن القرآن الكريم جاء متممًا لمكارم الأخلاق، محافظًا على جوهر التوحيد والفضائل الأساسية، لكنه نقل الخطاب الأخلاقي إلى مستوى عالمي يستوعب البشرية كافة، ونقّى صورة الأنبياء ليجعلهم منارات هداية لا مطعن فيهم، ورسم منهجًا أخلاقيًا يتوازن فيه الواجب مع النية، والعبادة مع العمل الصالح، والعدل مع الرحمة.

لقد كشف البحث عن **أهم النتائج** ومنها: تفوّق مفهوم التنزيه والتوحيد القرآني على التصور التوراتي المحدود للإله، وسمو النظرة الإسلامية للأنبياء كمعصومين عن الدنايا مقابل تصوير التوراة لهم ببشريتهم الضعيفة، والتقاء الشرائع في تحريم الكبائر مع امتياز الإسلام بشمولية القيم الإيجابية، وانفراد الإسلام بخطاب أخلاقي عالمي مقابل النزعة القومية الضيقة للأخلاق التوراتية، بالإضافة إلى رحمة الإسلام في التعامل الإنساني (حتى في الحرب) مقارنة بقسوة نصوص العهد القديم في ذلك المجال. هذه النتائج تدعم الأطروحة التي دافع عنها المؤلف وهي **سُمُوّ المنهج الأخلاقي الإسلامي** بوصفه امتدادًا مكملًا لمكارم أخلاق الأنبياء ومصححًا لانحرافات الأقوام السابقة.

من حيث **قيمة الكتاب**، يمكن القول إن الفصل موضع المراجعة يساهم في إثراء المكتبة العربية بدراسة مقارنة مبسطة وواضحة بين الأخلاق في اليهودية والإسلام، وهي موضوع لم ينل حظه الكافي من الدراسات التفصيلية. سيجد **القارئ المتخصص** في مقارنة الأديان فائدةً في تتبع استدلالات المؤلف ونصوصه المقتبسة، وإن كان ربما يتطلع إلى طرح أكثر حيادًا وتعمقًا. أما **القارئ العام** فسيستفيد من الكمّ الكبير من المعلومات والنقول التي ربما يسمعها لأول مرة عن التوراة، مما يعزز فهمه لخلفية القصص القرآني وانتقاد القرآن لبني إسرائيل في مواضع كثيرة. وقد يدفعه ذلك لمزيد من البحث والتوسع. وعلى المستوى الدعوي، يخدم الكتاب غرض الدفاع عن التنزيه القرآني للأنبياء وتفنيد الشبهات الأخلاقية المثارة حول قصصهم في الكتاب المقدس، وهو طرح له أهميته في الحوار الإسلامي–المسيحي.

أما **الأثر الذي يتركه الفصل على القارئ** فهو مزيج من الإدراك والاقتناع: يدرك القارئ مدى الاختلاف بين منهجين أخلاقيين رغم اشتراك مصدرهما الإلهي (قبل التحريف بحسب الاعتقاد الإسلامي)، ويقتنع – إن كان مسلما – بحكمة الله في إرسال خاتم النبيين ﷺ بشريعة أكثر ملاءمة لصلاح البشر. وقد يشعر القارئ اليهودي أو المسيحي بالتحدي في مواجهة هذه الطروحات، وربما يدفعه ذلك لمراجعة مفهومه عن تلك القصص وإعادة تأويلها بطرق أكثر تنزيهًا لأنبيائه، أو على الأقل تفهّم وجهة النظر الإسلامية في نقدها.

ختامًا، يُمكننا التساؤل: هل وفق المؤلف في تحقيق غاية كتابه في هذا الفصل؟ من الواضح أنه أسهم بشكل مقبول في مجال **مقارنة الأخلاق الدينية،** رغم أنه تبنى المنظور الإسلامي بشكل ظاهر. لقد نجح في جمع المادة وترتيبها ونقدها من زاوية معينة، مما يفتح الباب لباحثين آخرين لتناول الزاوية المقابلة أو لتعميق البحث في نقاط محددة (مثل دراسة أخلاقية مقارنة لنصوص معينة كوصية *لا تقتل* بين التوراة والقرآن). وبذلك يُعتبر هذا العمل لبنة مفيدة على طريق الدراسات المقارنة، قابلة للتطوير والبناء عليها. وبالرغم من بعض هنّات المنهج والأسلوب، فإن الكتاب وفصله الأول تحديدًا يقدمان وجبة معرفية دسمة تُثري عقلية الطالب في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا على حد سواء، وتزوده بأمثلة ونصوص محورية في موضوع الأخلاق بين الأديان. وفي المحصلة، نجح السيد أبو ضيف المدني في تسليط الضوء على مفارقات دقيقة بين المنهجين التوراتي والقرآني في الأخلاق، الأمر الذي يُعد إضافة قيمة للمكتبة الإسلامية في مجال تخصص مقارنة الأديان وفلسفة الأخلاق الدينية.

المراجع

1. المدني، السيد أبو ضيف .**الأخلاق في الأديان السماوية** .بيروت: دار الشروق، 1988.
2. **الكتاب المقدس (العهد القديم) –التوراة والأسفار التاريخية** .ترجمة عربية (سميث وفاندايك). بيروت: المطبعة الأميركانية، 1865) .*سفر التكوين؛ سفر الخروج؛ اللاويين؛ العدد؛ التثنية؛ يشوع؛ القضاة؛ صموئيل الأول والثاني؛ الملوك؛ أخبار الأيام؛ وغيرها.(*
3. **القرآن الكريم** –النص العربي برواية حفص عن عاصم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2015.
4. ضاهر، سلام. "تهافت عقيدة اليهود في الأنبياء وإشكالية العصمة في التوراة والعهد القديم (الزنا أنموذجًا) ."**مجلة أوراق ثقافية،** العدد 7، مايو 2020، ص 225–250.
5. ابن كثير، إسماعيل .**تفسير القرآن العظيم** .تحقيق سامي السلامة. الرياض: دار طيبة، 1999. (مرجع لتفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالمقارنة).
6. **The Holy Bible**, New International Version. Zondervan Publishing, 1984. (Consulted for cross-referencing English translations of Old Testament verses).

7. جوهر، محمد .*الأخلاق في اليهودية والمسيحية والإسلام: دراسة مقارنة* .القاهرة: دار الفكر العربي، 2001. (مرجع حديث في مقارنة الأخلاق الدينية سُلّط الضوء فيه على بعض القضايا المشار إليها).

المحتويات

ملخص..... 1
مقدمة 1
منهجية البحث 2
نطاق هذه الدراسة..... 2
المؤلف والكتاب 3
السيد أبو ضيف المدني 3
الكتاب 3
عرض موضوعي لمحتوى الفصل الأول: الأخلاق في التوراة 5
المقارنة بين الأخلاق في التوراة والأخلاق في القرآن.....11
هـ. أخلاق التعامل مع الآخرين: بين نصوص الحرب في التوراة وأخلاق الحرب في القرآن 18
و. المسؤولية الأخلاقية: التركيز الطقوسي في التوراة مقابل النية والقيمة في الإسلام.....19
تقييم نقدي لمنهج المؤلف في الفصل.....22
نقاط القوة في منهج المؤلف 22
نقاط الضعف والمآخذ.....22
مدى صحة النقل ودقة الاستدلال.....23
منهجية بناء الفصل وتنظيمه: 24
القيمة العلمية والمساهمة المعرفية للفصل: 25
خاتمة 25
المراجع.....27